اتجاهات الاستراتيجية الإسرائيلية وإيقاعاتها الحركية في منطقة الخليج العربي (مقاربة جيوبوليتيكية)

د. فراس عباس هاشم
باحث من العراق
Firashashem 48@yahoo.com

الملخص:

تناقش هذه الدراسة أهمية منطقة الخليج العربي الجيوبوليتيكية بالنسبة إلى إسرائيل وذلك لوقوعها في الجوار الجغرافي القريب، فضلاً عن ذلك فإن إسرائيل تسعى لان تظهر دورها ونفوذها المتصاعد في المنطقة، لاسيما بعد التطبيع الإسرائيلي مع الإمارات والبحرين بما تطرحه في الوقت ذاته من وجود عوامل مشتركة في شتى المجالات منها الأمنية والسياسية والاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك تحاول الدراسة اكتشاف الظروف التي فرضت التقارب الإسرائيلي الخليجي وتحديد معالم هذه العلاقة أمام تأسيس واقع إقليمي جديد وتحت تأثير الولايات المتحدة. وقد تجلى ذلك في الأسباب التي أوردتها الدراسة المتعلقة بطموحات إسرائيل لان تؤدي دوراً مهما في حماية المصالح الأمريكية من ناحية، ومن جهة أخرى احتواء الفواعل الإقليمية الصاعدة. وفي هذا الإطار استعرضت الدراسة أهم التحديات التى توجه الاستراتيجية الإسرائيلية في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الجيوبوليتيك، منطقة الخليج العربي، إسرائيل، الإمارات، الولايات المتحدة.

Israeli Strategy Trends and Their Kinetic Rhythms in the Arab Gulf Region (Geopolitical Approach)

Firas Abbas Hashem

Abstract:

This study discusses the importance of the Arab Gulf region of geopolitics for Israel because it is located in the near geographical neighborhood, in ad-

dition to that, Israel seeks to show its increasing role and influence in the region, especially after the Israeli normalization with the Emirates and Bahrain, which it proposes at the same time that there are common factors in various fields, including security, political and economic. In addition, the study tries to discover the conditions that imposed the Israeli-Gulf rapprochement and to define the parameters of this relationship in front of establishing a new regional reality under the influence of the United States. This was evident in the reasons cited in the study related to Israel's ambitions to play an important role in protecting American interests, on the one hand, and on the other hand, containing the emerging regional actors. In this context, the study reviewed the most important challenges that faces the Israeli strategy in the region.

Key words: geopolitics, the Arab Gulf region, Israel, the Emirates, the United States.

المقـدمــة:

تحظى منطقة الخليج العربي بأهمية جيوبوليتيكية عالمية فريدة، إذ أنها وفق التوصيفات الجيوبوليتيكية تقع على أطراف أورآسيا، وضمن مناطق الحزام المحيط التي تعد جزءاً من سياسة الاحتواء التقليدية، وبناء على هذا يتميز الخليج بموقعه المحوري على طريق التجارة والممرات البحرية التي تتزايد أهميتها مع الانتقال التدريجي لمركز الثقل الاقتصادي الدولي نحو الشرق، فضلاً عن ذلك تختزن أكثر من ثلث احتياطات العالم من النفط والغاز، وتمتلك دوله أصولاً وفوائض مالية ضخمة، وقوة شرائية كبيرة واستثمارات خارجية واسعة[1].

(1) عـماد قــدورة، «الأهمـيـة الجيوبولتيكية للخليج في استراتيجية الهند»، مجلة سياسات عربية، العدد (44)، (2020)، ص 21.

ومن هنا يمكننا القول: أنه لم تغب المنطقة عن دوائـر الاهتمام في الفكر الجيوبوليتيكي الإسرائيلي، فأصبحت هذه الأهمية قوة دافعة لأوجه الدينامية الإسرائيلية والحركية المرتبطة من أجل تحقيق أهدافها الإستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط المرتبطة بسياق إظهار نفوذها الجيوبوليتيكي خارج نطاق محيط فضائها الجغرافي، وفي هذا التعيين والتدقيق تقف إسرائيل بشكل مباشر لتصبح الموازن الإستراتيجي لإيران في منطقة الخليج العربي، لا سيما وأن هذه التوجهات الإسرائيلية الجديدة كانت مدفوعة برغبة أمريكية تهدف في إظهار قوة إسرائيل وتكريس تأثيرها في المنطقة.

وعليه بدا هذا التحول مع عملية التطبيع الإسرائيلية مع الإمارات والبحرين التي نشأت بتأثير من الولايات المتحدة، وهكذا تعكس هذه التحولات في جزء منها

عمل إسرائيل على نسج تحالفات جديدة، للتمدد في الفراغات الإستراتيجية، في ظل الصعود المتسارع لعديد من القوى في المنطقة. وفي الوقت ذاته تعمل الولايات المتحدة على إظهار نفسها كوسيط أصيل وراع محرك لعملية التقارب الإسرائيلي الخليجي باعتبارها جزء لا يتجزأ من مكوناته، ومدخلاً لإعادة تأهيل أهداف إستراتيجية تسعى إلى تحقيقها تجسد أو تعيد بها إنتاج التحالفات لمواجهة الدول الإقليمية الصاعدة كإيران وتركيا، أو لمواجهة تحركات القوة الدولية كروسيا والصين التي تبحث عن تحقيق مصالحها الحيوية في المنطقة. لاسيما وأن الولايات المتحدة نجحت سابقاً في إيجاد ظروف صناعة مبادرات التقارب بين إسرائيل وبعض الدول العربية، أضف الى ذلك، تمنحها تعزيز وجودها وتمارس فعلها للحفاظ على مكانتها كضابط سياسي لفضاءات النفوذ الجغرافية المهمة في المنطقة.

ومن هنا تنطلق الاشكالية للإجابة على مجموعة من التساؤلات من بينها، ماهي التغييرات التي افصحت عنها الرؤى الإستراتيجية لإسرائيل في المنطقة؟ وماهي أهداف إسرائيل الإستراتيجية؟ وما هي دلالاتها؟ وما هي أبرز التعقيدات التي تفرضها حالة الاصطفافات الإقليمية تجاه الدور الإسرائيلي الجديد؟ وبالتالي تفترض الدراسة أن التحول الإدراكي في منطلقات التفكير الإسرائيلي تجاه دوائر الفضاءات الحيوية، عكسته مسارات التحول على المستوى الإقليمي وجنحت نحو منطقة الخليج العربي، وما أفضت إليه تلك التحولات المستحدثة لأحداث تغييرات مكانية تجاه فضاءات التنافس والصراع. واتساقاً مع ما تقدم سيتم توزيع هيكلية الدراسة إلى ثلاثة محاور، يشمل المحور الأول: الارتكاز في مجالات التجاذب الحيوي ودعائم تطوير حدود النفوذ. إما المحور الثاني فيركز على: تطويع مناطق الجوار كأداة لاختبارات التفاعل وتطويق الخصوم. في حين يتناول المحور الثالث: عوائق التحرك الإسرائيلي في ظل معالم التحول الإقليمي.

المحور الأول: الارتكاز في مجالات التجاذب الحيوي ودعائم تطوير حدود النفوذ

تمثل العوامل الإقليمية ركناً أساسياً في بناء التوجهات الإستراتيجية لإسرائيل، إذ إنها تشكل المسرح الأكثر تأثيراً على مواقف إسرائيل وصناعة قراراتها من هذه الأوضاع، وقد عنى ذلك لها بداية خشية بالغة من احتمالات تغير موازين القوى في المنطقة لصالح أطراف إقليمية أخرى، مما يشكل عامل ضغط ويتسبب بمشاكل عديدة. لذلك سعت إسرائيل إلى الحفاظ على الوضع لصالحها وإعطاء أولوية لمصالحها

القومية. فضلاً عن ذلك سيؤدي إلى تغيرات في البيئة الإستراتيجية على نقيض ذلك الاختلال في موازين القوى بفقدان الأمان وغياب الاستقرار في الجوار الإسرائيلي مع بروز دور الفاعلين من غير الدول في المنطقة. ولا بد من الإشارة هنا إلى احتمال أن تفتح البيئة الجغرافية المتداخلة مجال اختراق في البنية الأساس لمعادلة الصراع التقليدية، والذي قد يتطور ليمس جوهر المشروع الإسرائيلي في مناطق الاحتكاك الجيوبوليتيكية في منطقة الشرق الأوسط[2].

(2) محسن صالح، الأهداف والمصالح الإسرائيلية في النظام العربي، في كتاب: التداعيات الجيواستراتيجية للثورات العربية، مجموعة مؤلفين، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص471. وللمزيد من المعلومات حول الاهتمام الإسرائيلي في منطقة الخليج العربي ينظر: محمد صالح المسفر، العلاقات الخليجية – الخليجية: معضلة الفراغ الاستراتيجي والتجزئة (1971 ـ 2018)، (قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2018).

وتأسيساً على ما تقدم يمكننا القول أن خريطة الأدوار الإقليمية والدولية في الإقليم تشهد تغيرات جوهرية الأمر، الذي يفرز في الإقليم أزمات مستقبلية في سياق التنافس والصراع بين القوى الصاعدة، وتترجم تحولات كهذه في جزء منها مما يطلق عليه «خارج النموذج»، وفق تعبيرات نظرية «البجعة السوداء» (Black Swan Theory)، والإستراتيجيات الأولية في تلك الحالات بسيطة وفق منطق النظرية نفسها أيضاً في سياق مد النفوذ، وهذا يعني فهم صيرورات التحول بتمثلات فكرية تحت عنوان «تجنب أن تهلك»، يضعنا على نحو مباشر حول مسألة البقاء من حيث أنها مسألة أساسية لكنها بديهية أيضاً، والتي تطرح نفسها في الوقت الحاضر عند موضوعات الأمن، فحجم هائل من التفاعلات الحالية يتعلق بالأمن، أو يمكن أن يؤثر عليه بشكل مباشر حتى أضحت تؤثر في تشكيل منطقة الشرق الأوسط[3]. وعليه يرى بعض الباحثين والمختصين بالشأن الإستراتيجي إنه عبر معالم نموذج نظرية «البجعة السوداء» التي قدمها (نسيم طالب) حول تأثير الأحداث غير المتوقعة، تمثل أساساً مهما لمقدمة فهم التقارب التدريجي بين دول الخليج العربي وإسرائيل على خلفية الأحداث التي اندلعت في المنطقة، لاسيما وأن ثمة أحداث أخرى محفزة لتوسعة هذا التقارب ليشمل دولاً أخرى غير متوقعة في المنطقة اعتماداً على مبادرات جديدة تتواكب مع المتغيرات الإقليمية الجديدة.

(3) فراس عباس هاشم، «الارتدادات الهيراركية: اتجاهات التماسك الخليجي المتعثر ومعادلة المصالح الإسرائيلية»، مجلة حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العدد (29)، (2019)، ص74. وللمزيد من التفاصيل حول حيثيات نظرية البجعة السوداء ينظر: نسيم طالب، البجعة السوداء: تداعيات الأحداث غير المتوقعة، ترجمة: حليم نسيب نصر، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009).

في خضم المعطى الاستراتيجي المتخبط، وخاصة بعد غياب فاعلية بعض القوى المركزية في المنطقة، وتطور المساومات والتنافس القائم على المصالح بين الفاعلين الأساسيين، تعتبر منطقة الخليج العربي الأكثر ديناميكية في منطقة الشرق الأوسط، وأصبحت قوة دافعة ونافذة في المصالح الجيوبوليتيكية ضمن إستراتيجيات الفواعل، وتمثل منعطفاً مهما في تعزيز مراكز الصراع المركزي الذي ربما سينجم تمخضه عن إنبثاق توازنات إقليمية أو منظومة عالمية جديدة. هذا التمشي في المسارات الذي يسلكه شكل الإخلال بتوازن القوى الإستراتيجي

للمنطقة ينطلق من منعطفات كبيرة في شكل التحالفات الإقليمية وأطرافها، إلا أنه لا يوجد تغير كبير في شكل وطبيعة خريطة التحالفات الإقليمية في المنطقة، حيث تبنى جميع التحالفات في المنطقة على أساس هدفين استراتيجيين **أولهما**: الهاجس الأمني المتبادل بين الحلفاء، **وثانيهما**: المصالح المشتركة بكافة أشكالها. وأخيراً يمكن القول إن إعادة التوازن الإستراتيجي لصالح الأطراف العربية يكمن في احتمالين: الأول يتمثل في إعادة الوجود القوي والمؤثر للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، أما الخيار الثاني فيتمثل في تشكيل منظومة أمنية عربية سواء أخذت شكل تحالفات أو غيرها تأخذ على عاتقها إعادة التوازن الإستراتيجي في المنطقة. كما يجب أن تتخطى الدول الخمس إستراتيجية «القوة الإقليمية» وتتحرك نحو إستراتيجية منطقة أكثر قوة[4].

(4) فراس عباس هاشم، مصدر سابق، ص74.

ومن هنا أفضت التفاعلات الدراماتيكية في منطقة الشرق الأوسط كما بينا سابقاً إلى تنامي دور ومحورية إسرائيل وفاعليتها في المنطقة، وهذا ما أكدته الأحداث بعد موجه التغيير في المنطقة، إذ قدر لها انتماؤها الجغرافي أن تكون في موقع يؤهلها إلى اجتراح دور إقليمي خلال فترة قصيرة يعزز من قدرتها على التحكم في توجهات وطموحات بقية اللاعبين السياسيين في المنطقة، بالموازاة مع امتلاكها الأدوات المؤثرة في لعبها هذا الدور قد تشي بالكثير من الإيماءات لصالح تأثيرها وتوغلها في المحيط الجيوسياسي للمنطقة رغم افتقارها إلى المعطيات الداعمة من قبيل موقعها أو مساحتها الجغرافية، ولذلك فهي تدرك أن إعادة مستويات التعاون مع الولايات المتحدة يسهم في إيجاد وسائل لتعزيز القدرة على تبديل الوضع الجيوبوليتيكى القائم إلى الحد الذي يؤثر على مصالح المنافسين لها، على وجه الخصوص إيران، مع تأكيدها على وجود عداء تاريخي مع إيران منذ انتصار الثورة الإسلامية في العام (1979)[5].

(5) فراس عباس هاشم، «مظاهر اتجاهات التغييرات الإقليمية وتأثيراتها في تشكيل فضاءات التحركات الإسرائيلية تجاه إيران» مجلة مدارات إيرانية، العدد (6)، (2019)، ص96.

إن هذه التحولات والمتغيرات التدريجية في نطاق صيرورة حركات التغيير ومتغيراتها ضمن سياقها التاريخي تؤشر أن توزيع القوة في منطقة الشرق الأوسط يتجه نحو دخول المنطقة في حروب الوكالة بسبب المتغيرات الجيوسياسية، فضلاً عن طبيعة التحالفات غير المدروسة بسبب انهيار منظومة التوازن الإقليمي الذي دفع بعض الدول الطرفية كإسرائيل إلى ممارسة دور جيواستراتيجي كبير على حساب العمق الإستراتيجي، بما يثبت وجود أثر بشكل سلبي على نسب استقرار معادلة الأمن الإقليمي في المنطقة، بما في ذلك وضع تنبؤات تصورية عن تراجع وضعف المنظومات الإقليمية الرئيسة كالجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي،

وعدم فاعليتهما في ممارسة دورهما السابق في المنطقة[6]. ولعل أهم ما يلفت الانتباه هو أن عملية إعادة ترتيب الأولويات بالنسبة للولايات المتحدة دفعت إلى الواجهة على الأخص الإشارة إلى الأخطاء التي ارتكبتها الإدارة الأمريكية السابقة في دوائر الفضاءات الحيوية بالمنطقة، وهكذا تسعى إدارة الرئيس ترامب إلى فرض واقع جديد لمصلحة الولايات المتحدة.

(6) المصدر سابق، ص 99.

وبهذا ترتكز رؤية القيادة الإسرائيلية إلى الانفتاح السياسي والاقتصادي والعسكري على الساحة الخليجية بالتزامن مع استرجاع المقولات الجيوبوليتيكية في منطلقاتها التي تحث على السيطرة على المجالات الحيوية، وعلى هذا النحو وجدت إسرائيل نفسها مجبراً إلى صيرورة التحول كقوة إقليمية ذات طموحات في إظهار تأثيرها في المنطقة، وهذا ما يعني أن الأهداف الإستراتيجية الإسرائيلية الرئيسة في تقديرنا ترتكز بعاملين أساسيين: الأول: تلاق في الموقف المشترك ضد إيران، أما الثاني: في التخوفات من نفوذها في المنطقة. وقد نشر مركز دراسات الأمن القومي الإسرائيلي نتائج استطلاع أدعى إنه قام به في شبكات التواصل الاجتماعية العربية تفيد بأن النظرة العدائية لإيران تزيد عن النظرة العدائية لإسرائيل وسط الجمهور العربي[7]، وهنا نلاحظ أن هذه التخوفات لدى الأفراد في الخليج تعكس ردود فعل أمنية نتيجة التطورات السياسية الإقليمية ومحاولة بعض الدول التحرك نحو التطبيع مع إسرائيل والاصطفاف في المحور المعادي لإيران بحجة تصاعد النفوذ الإيراني في المنطقة.

(7) نقلا عن: خالد عنبتاوي، «مشهد العلاقات الخارجية: مكاسب نوعية عديدة وعقبات كامنة»، تقرير مدار الاستراتيجي، (فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2020)، ص110.

وعلى هذا النحو، فإن هناك دائما أرضية مشتركة في الفكر الإسرائيلي تندرج في إطار التعاون الثقافي يمكن البدء على أساسها، ومضمون هذا الفكرة أنها قائمة على نطاق مستوحى من استنتاج نصه «**إذا عجزت مشكلات الجغرافيا الجيوبوليتيك عن إيجاد أساس مشترك للتعاون، فإن التاريخ يمد إسرائيل بذخيرة كبيرة من تجارب التعاون تصلح لتأدية الغرض نفسه وإذا عجز التناقض الايديولوجي عن إيجاد هذا الأساس المشترك للتبادل الثقافي يكون هناك الأساس العملي البراغماتي للتعامل**»[8]. وبالعودة لما سبق تزامن نمو دور إسرائيل الإقليمي مع زيادة مؤشرات تراجع الأفكار الخاصة بالتمييز بين قلب النظام وأطرافه من ناحية وذلك فيما يتعلق في داخل النظام وهامش النظام أي دول الجوار الجغرافي التي تقع خارجه. فقد نجحت دول الهامش كإسرائيل أن تتغلغل في داخل منطقة الشرق الأوسط، ولامست العمق الإستراتيجي للمنطقة في منطقة الخليج العربي والمشرق العربي، وأن تصبح طرفاً مؤثراً في تفاعلاتها السياسية، وأن تتجه نحو إنشاء تفاعلات مع بعض الدول العربية بما يخدم مصالحها الإستراتيجية[9]، من هنا على ذكر الفضاءات

(8) محسن عوض، الإستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988)، ص43.

(9) فراس عباس هاشم، «مظاهر اتجاهات التغييرات الإقليمية وتأثيراتها في تشكيل فضاءات التحركات الإسرائيلية تجاه إيران»، مصدر سابق، ص96.

أو المجالات التي تتسم ساحتها بوتيرة كثيفة من التفاعلات التي يمكنها إحداث التأثيرات في موازين القوة الإقليمية، يشير في هذا الصدد رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق (ارئيل شارون ـ Ariel Sharon) إلى دائرة المجالات الحيوية التي تضم مصالح إسرائيل الإستراتيجية، إذ حددها بأنها المنطقة التي تضم» جميع الدول العربية المتاخمة بالإضافة إلى إيران وتركيا وباكستان وشمال أفريقيا حتى زيمبابوي وجنوب أفريقيا جنوبا»، ثم اتسعت هذه الدائرة لتشمل «الساحل الشرقي للأطلسي غربا ودول آسيا الوسطى الإسلامية شمالاً»[10].

(10) المصدر السابق، ص101.

في المحصلة، يتعزز وضع إسرائيل الإستراتيجي على المستوى الإقليمي انطلاقاً من تصورات نابعة بالأساس من وجود علاقات وثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، فأضحت حاجاتها المتنامية ومصالحها القومية، تحدد علاقاتها بالولايات المتحدة وهي تترك في غاية واحدة إلا وهي معادلات تضبط نقطة مركزية في المنطقة أيضاً، وتتضح صورتها بين تناغم مصالحها مع مصالح الدول الخليجية، وبالتالي أشرت على ذلك خارطة تحالفات جديدة في المنطقة، بالمقابل نلمس حيوية غير معهودة في المنطقة تسعى إسرائيل من خلالها سعياً نحو مواجهة توسع نفوذ إيران وأتساع نطاقه خاصة في سورية ولبنان، لاعتبارات مصلحة وصولاً إلى تأكيد وجودها في المنطقة، يصل إلى حد القول وضع معادلة تحمل خصائص اقتصادية وسياسية وأمنية يمكن من خلالها دفع مستوى التطبيع تجاه دول المنطقة[11].

(11) فادي نحاس، «التحديات الأمنية والعسكرية لإسرائيل: أكثر وضوحًا وتحديدًا وأقل مرونة»، التقرير الاستراتيجي (2019)، (فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2019)، ص124.

ومن هنا أفضت عملية إعادة تأهيل منطقة الشرق الأوسط إلى توقع وزير الأمن الإسرائيلي، (بيني غانتس ـ Benny Gantz)، يوم 22 تشرين الأول/ أكتوبر عام (2020)، على إعلان مشترك مع نظيرة وزير الدفاع الأمريكي (مارك أسبر ـ Mark Esper) يؤكد الالتزام الاستراتيجي للولايات المتحدة بالحفاظ على التفوق العسكري لإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، وتحدث (غانتس) قائلا: «إنه أجرينا مناقشات مهمة تضمن التزام إسرائيل بالحفاظ على تفوقها الأمني». وأضاف: «نحن ندخل حقبة تطبيع في منطقة الشرق الأوسط يمكن أن تساعد في مواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة، وسنعمل مع الولايات المتحدة وصداقاتنا الجديدة على تعاون مثمر لتحقيق تلك الجهود»[12].

(12) نقلا عن: محمود مجادلة، «غانتس يوقع مع نظيره الأمريكي إعلانا لضمان التفوق العسكري الإسرائيلي في المنطقة»، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020/10/22، شوهد في 2020/10/23، في: https://www.alzaytouna.ne

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول تأتي هذه التحركات الأمريكية ـ الإسرائيلية في ظل التطورات التي فرضتها ظاهرة عدم الاستقرار السياسي التي عمقت التناقضات بين مصالح القوة الفاعلة في المنطقة، ورغبة العديد من دولها، بما فيها دول الخليج العربي، السير نحو صيرورة التضاد للخروج من المأزق الذي وقعت فيه جراء

الانخراط بقضايا المنطقة الساخنة وقصورها عن تحقيق أهدافها، لذلك أخذت تبحث عن تقارب وإقامة علاقات مع إسرائيل كمدخل لإضعاف القوة الإقليمية الصاعدة.

المحور الثاني: تطويع مناطق الجوار كأداة لاختبارات التفاعل وتطويق الخصوم

من الملائم القول إن تطور تاريخ العلاقات الدولية كان مدفوعاً بالأزمات والتطورات المفاجئة التي يمكن اعتبارها بمثابة «نوافذ فرص» زمنية (Windows of Opportunities) لتجاوز استاتيكية «الوضع الراهن»(Status Quo)، ووضع أسس جديدة للتفاعلات بين الأطراف الدولية في إطار واقع جديد[13]. وهذه هي المقولات الكلاسيكية الناظمة لفهم وتفسير صيرورة تشكل التفاعلات الدولية، ولهذا يستخدم علماء الجغرافيا السياسية مفهوم الإستراتيجية للتعبير عن الصراع الذي يقوم على أو يتضمن اعتبارات جغرافية، كما تصف الجيوبوليتيكيا علاقات تنافس بين الدول ويقوم التفكير الجيوبولتيكي على مجموعة من القواعد والمبادئ[*] الإجرائية التي تتكون من مجموعة فروض سياسية ـ جغرافية تنطلق منها الدولة في سياستها الخارجية، وتتضمن هذه القواعد تحديدا لمصالح الدولة، ولمصادر التهديد التي قد تتعرض لها هذه المصالح، والرد المخطط له لمواجهة هذه التهديدات، والمبررات التي تساق للإقدام على هذا الرد[14].

ومن هذا المنظور يمكننا القول، نتيجة للتحولات في إستراتيجية إسرائيل خاصة في منطقة الشرق الأوسط، وبناء على ذلك أضحت حاجاتها المتنامية ومصالحها القومية تحدد علاقاتها الخارجية، لذلك تجعلها تركز على تقييم عواقب تراجع الوجود الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، وهي السياسية التي بدأت خلال إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق (باراك أوباما Barack Obama)، وتسارعت خلال رئاسة (دونالد ترامب ـ Donald Trump)، ظاهرياً هذه الخصوصية لا تخدم أمن «إسرائيل مطلقاً «باعتبار أن أمنها لا يعتمد على الوجود المادي للولايات المتحدة في المنطقة فقط، لا بل هذا ليس سوى جانب واحد من العواقب الناتجة عن فقدان الاهتمام الأمريكي بالمنطقة، وعلى هذا الأساس هناك احتمال أن تكون الجهات الفاعلة الإقليمية وخاصة إيران وتركيا، بالإضافة إلى جهات فاعلة أخرى، مثل الصين وروسيا، والتي تتراوح سياستها تجاه «إسرائيل» من محايدة إلى معادية، سوف يملأ الفراغ الناجم عن الانسحاب الأمريكي، وهذا يتطلب تقييماً سياسياً وأمنياً واقتصادياً يستجيب للتهديدات لتعزز منحى أفق التفكير في مجالها قائم على تحقيق أهدافها القومية[15].

(13) محمد عبد الله يونس، «فرص الأزمات: كيف يمكن الاستفادة من التحولات المفاجئة في العالم»، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2020/8/13، شوهد في 2020/9/23، في: https://future-uae.com/ar-AE/Mainpage/Item/5747

(*) يقصد بالمبادئ الجيوبوليتيكية « مجموعة الفرضيات الإستراتيجية التي تضعها الحكومة فيما يتعلق بالدول الأخرى في صياغتها لسياستها الخارجية». وتتضمن هذه المبادئ الجيوبوليتيكية الإجرائية تقييم المناطق الجغرافية الواقعة وراء حدود الدولة من زاوية أهميتها الإستراتيجية وإمكانية أن تصبح يوما مصدر تهديد لأمنها، وهي لا تقتصر على الأمور التي تخص الدولة وحدها، وإنما تشمل أيضاً تقييما للدول المجاورة، وهي تعمل على ثلاث مستويات: المحلي والإقليمي والدولي. أحمد تهامي عبد الحي، «الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر ومنابع النيل: الثوابت والمستجدات»، دراسات إستراتيجية ومستقبلية، العدد (9)، (2003)، ص8.

(14) المصدر السابق.

(15) «السياسة الخارجية «لإسرائيل» في اختبار عام 2020»، متاح بصيغة pdfعلى موقع مركز توازن للأبحاث والدراسات، 2020/9/23، شوهد في 2020/10/1، في: http://tawazon_trs.com/estimating_sit

إيران تموضعت في الساحة الخلفية لإسرائيل

في السياق نفسه، أدركت القيادة الإسرائيلية اتساقاً مع نهجها الجديد الذي يولي أهمية إلى منطقة الشرق الأوسط والمتغيرات المتعلقة بالصراع العربي- الإسرائيلي ضرورة تبني التحرك باتجاه الدول التي تقع ضمن دائرة مصالحها الحيوية، هذه الحقائق الإستراتيجية ومساراتها جلبت لها علاقات التطبيع(*) الإسرائيلي مع الإمارات والبحرين في برعاية أمريكية أطلق عليه أتفاق (أبراهام)(**) في 23 آب/ أغسطس عام (2020). هذه الديناميات ستؤدي وفقا للمحلل العسكري في صحيفة (يديعوت أحرونوت) (أليكس فيشمان ـ Alex Fish-man) إلى تعاظم أهمية المركبات الإستراتيجية الإسرائيلية مقابل التهديد الإيراني. فإيران تموضعت في الساحة الخلفية لإسرائيل، في لبنان وسورية وغزة، وحولتها إلى قاعدة تهديد ثابتة. فقد قامت إستراتيجية ووجود إسرائيلي رسمي في الأراضي الإماراتية، قريبا من الحدود الإيرانية، تحدث تهديداً إسرائيلياً مشابها على إيران. ولكي تكون هذه الساحة الخلفية ناجعة، يتطلب ذلك تعاوناً استخبارياً بين إسرائيل والإمارات، القائم منذ فترة على يبدو»[16]. لذلك تحاول إسرائيل من خلال توظيف تضخيم التهديد الإيراني لدول المنطقة، كذريعة من أجل تعزيز صورتها وتحسينها وإبراز هويتها الخاصة كقوة داعمة لتحقيق السلام والاستقرار والأمن، وقد سرعت تلك الذريعة في إجراء حوار بشكل أوسع مع العديد الأطراف الإقليمية، مترادفة مع صياغة رؤيتها كقوة جذب من أجل كسب التعاطف معها في منطقة الشرق الأوسط.

ومن هنا تدرك إسرائيل القيمة الجيواستراتيجية في تطبيع علاقاتها مع بعض دول الخليج العربي في مسالة التوازن الخارجي مع إيران انطلاقًا من قيمتها الجغرافية من أجل الحفاظ على توازن القوى أو تشكيل تحالفات جديدة في المنطقة، وما يترتب منطقياً على هذا القول، وهو ما كشفته بعض التحليلات الإستراتيجية، من أن اتفاق التطبيع مع الإمارات ينطوي على نقطة قوة تجعل منه موقعاً متقدماً أمام الشواطئ الإيرانية، وما تفضي إليه في هذا المجال لضمان تلبية حاجاتها العسكرية إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك ويوفر إمكانية تعزيز مكانتها في منطقة الخليج العربي في سياقات سياسية واقتصادية وعسكرية[17]، ويتضح ذلك من خلال محاولة إسرائيل تدعيم علاقاتها مع دول الخليج وأن يكون لها دور أساس في إعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة، حيث تتلاقي سياستها مع السياسية الأمريكية. أن هذه المراهنة نجدها حظيت بالثناء في خطاب وزير الخارجية الأمريكي (مايك بومبيو ـ Michael Richard Pompeo) بالترابط الإيجابي بين الإمارات وإسرائيل قائلاً: «**إن الإمارات وإسرائيل توصلتا لاتفاق لتشكيل تحالف ضد إيران لحماية الأراضي الأمريكية والشرق الأوسط عبر اتفاقية التطبيع المعروفة بـ«اتفاق أبراهام»**. وأضاف: «**أن أبو**

(*) يعد مصطلح التطبيع من المصطلحات حديثة الذيوع في الفكر السياسي الإسرائيلي ورغم أن بعض الباحثين الإسرائيليين ينسبون صياغته لأول مرة إلى (أبا إيبان ـ Abba Eban) في خطاب له في الأمم المتحدة عام (1968)، فإن استخدامه لم يشع إلا في مرحلة متأخرة من المفاوضات المصرية- الإسرائيلية السابقة على توقيع اتفاقات كامب ديفيد عام (1978)، بل إن المصطلح الذي تداولته هذه المباحثات للتدليل على هذا المفهوم كان طبيعة السلام. وللمزيد من المعلومات ينظر: محسن عوض، الإستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988)، ص ص12 ـ 13.

(**) أعلن السفير الأمريكي في إسرائيل (ديفيد فريدمان ـ David Friedman)، إن اتفاقية السلام بين الإمارات وإسرائيل ستعرف باسم (اتفاق أبراهام) نسبة إلى نبي الله إبراهيم الذي يعتبر أب الديانات الثلاث الكبرى (المسيحية والمسلمة واليهودية). «اتفاق إبراهيم».. لماذا سميت اتفاقية السلام بين الإمارات وإسرائيل بهذا الاسم، موقع اليوم السابع، 2020/8/14، شوهد في 2020/10/23، في: https://www.youm7.com/story

(16) «الإمارات جعلت إسرائيل تتموضع في ساحة إيران الخلفية»، موقع عرب 48، 2020/8/16، شوهد في 2020/9/11، في: https://www.arab48.com

(17) «وسط تحذيرات إيرانية.. بومبيو: الإمارات وإسرائيل تشكلان تحالفا ضد طهران لحماية مصالحنا»، موقع الجزيرة للدراسات، 2020/9/6، شوهد في2020/9/11، في:https://www.aljazeera.net/news

ظبي وتل أبيب تنظران إلى طهران على أنها خطر كبير». مضيفا» أن الاتفاق بين الإمارات وإسرائيل لبناء علاقة يمكن من خلالها تشكيل تحالف، للتأكد بألا يصل ما وصفه بالخطر إلى الأراضي الأمريكية أو يؤذي أحداً في الشرق الأوسط»[18].

أن أبو ظبي وتل أبيب تنظران إلى طهران على أنها خطر كبير

وعليه نجد أن إسرائيل تركز في ظل هذا التحولات والمستجدات على إيجاد حوافز تشجع الدول على الإقدام طواعية من خلال التطبيع على إطلاق تفاهم استراتيجي معها من خلال توثيق المصالح الاقتصادية للدول، وبالتالي تخلق لها شريكاً إقليمياً يضبط إيقاع التفاعلات الإقليمية في حد ذاته، وفي طليعتها الإمارات والبحرين على نحو الخصوص، ودول الخليج العربية عامة، وتوفر لها من جهة إمكانية تشكيل تحالف وبرعاية أمريكية، في مقابل ذلك يقوم هذا التحالف على الأسس والأهداف التالية:[19]

أولاً: إعادة تعريف مصادر التهديد في المنطقة، بحصرها في إيران، وتركيا، وحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين.

ثانياً: توسيع مناطق نفوذ هذا التحالف في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي.

ثالثاً: العمل معًا على بذل جهود خاصة للتأثير في المحددات التي تشكل الأسس التي تقوم عليها الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بحيث لا تتكرر حاله مثل إدارة (أوباما) خلافاً لآمالها.

رابعاً: التنسيق ضد خطر أي تحولات ديمقراطية في المنطقة بحجة الحفاظ على الأمن والاستقرار، إذ يمثل نوع من الاحتواء لمثل هكذا تغيير لا يخدم مصالحها.

وهذا ما اتفق معه الكثير من المختصين والخبراء في الشؤون الدولية، في تغيير وجه الإستراتيجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط التي تبناها المسعى الأمريكي في إرساء نظام شرق أوسطي جديد.

تأسيساً على ذلك نلاحظ تغييراً في المعادلة الجديدة التي ترسم مسرح المواجهة بين إسرائيل وإيران، تمخض عنه منطق يعتمد على قاعدة الرد بالمثل، وقد أرسى بذلك توسعة نطاق دائرة المواجهة. فإسرائيل تتهم إيران بالقرب الجغرافي على حدودها في سوريا، ويشمل ذلك الاستئثار بمد بنفوذها الجغرافي عسكرياً وأمنياً، ومن خلال ذلك تعطي تلك المحاولات (واشنطن) إلى تعزيز موقع إسرائيل في منطقة الخليج العربي

(18) المصدر نفسه. امتدت العلاقات بين الإمارات وإسرائيل في شكلَيْها، السري والعلني، مدة عَقدَيْن من الزمن، واتَّخذت أبعادًا مختلفة، فشملت المجالات الأمنية والعسكرية والتجارية والاقتصادية. من ذلك أن «هيئة المنشآت والمرافق الحيوية في أبو ظبي» المسؤولة عن الأمن والسلامة، وقعت، عام (2008) عقدًا مع شركة «آي جي تي إنترناشيونال» (AGT International) السويسرية المملوكة لرجل الأعمال الإسرائيلي، (ماتي كوتشافي ـ Matti Kochavi)، بقيمة (816 مليون دولار) لشراء معدات مراقبة للبنى التحتية الحيوية في الإمارات. أما على المستوى العسكري، فقد اشتركت الإمارات مع إسرائيل في مناورات عسكرية مثل مناورات «العَلَم الأحمر» (Red Flag) في قاعدة نيلز الجوية في نيفادا عام (2019)، وفي مارس/آذار عام (2017) وأبريل/نيسان عام (2019) شارك كل من سلاح الجو الإماراتي وسلاح الجو الإسرائيلي في تدريبات عسكرية عرفت باسم «إينيو هوس» (Inio hos) في اليونان. مكرم المسعدي، «المعلن والمخفِي في اتفاق «أبراهام»»، مركز الجزيرة للدراسات، 2020/10/8، شوهد في 2020/10/20، في: https://studies.aljazeera.net/ar/article/47

(19) «قراءة في التطبيع: التحالف الإماراتي والبحريني مع إسرائيل»، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2020/9/17، شوهد في2020/9/23، في: https://www.dohainstitute.org/ar/PoliticalStudies/Pages/Interpret-ing-Normalization.
وللمزيد من المعلومات حول سياسة الرئيس الأمريكي الأسبق (باراك أوباما) تجاه منطقة الشرق الأوسط ينظر: علاء بيومي، صعود باراك أوباما ومستقبل السياسة الخارجية الأمريكية، (قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2008).

عبر إستراتيجية احتواء واسعة النطاق تسعفها لتوضع في ميزان المعادلات والتوازنات التي يمثلها براديغم شكل الشرق الأوسط الجديد، فكان الوجود الإسرائيلي على الحدود الإيرانية في شكل تطبيع العلاقات مع الإمارات يراعي مبدئها الأساسي في هذا المجال وهو مواجهة إيران لتضع الأخيرة نفسها في ميزان المواجهة[20]. في الوقت نفسه من المتوقع أن تؤدي هذه التحركات إلى تفاقم الوضع في منطقة الخليج العربي، وعلى نطاق واسع قد يدفع بإيران إلى العمل مع روسيا والصين على حد سواء للحد من الدور الجديد لإسرائيل وتأثيرها على ميزان القوة في المنطقة.

(20) » تحليل للتطورات السياسية والأمنية في إسرائيل»، التقدير نصف الشهري، (فلسطين: مركز باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، 2020)، ص26 .

من هنا يرى رئيس وزراء إسرائيل (بنيامين نتانياهو ـ Binyamin Netanyah) أهمية هذا الاتفاق الإماراتي- الإسرائيلي، وأوضح أن هذا الاتفاق «**هو نقطة تحول هائلة في تاريخ إسرائيل والشرق الأوسط**» . إذ يسهم في تعزيز التعاون في المنطقة ويفضي إلى آفاق جديدة من العلاقات، فضلاً عن ذلك يوفر في أصله حضوراً أكبر وأوسع لإسرائيل، وفي هذا الإطار نراه يتوافق مع السياق الأوسع لمقاربة إدارة (ترامب) للمنطقة، والتي تسعى منذ العام (2018) إلى إنشاء ما أسمته مشروع «تحالف الشرق الأوسط الإستراتيجي» (MESA) الذي يضم دول الخليج العربي إضافة إلى مصر والأردن لمواجهة إيران، وما يبدو واضحاً في هذا السياق، وفي سبيل تحقيق ذلك، عرضت الولايات المتحدة على تلك الدول دمجها في مظلة دفاع صاروخي، والحصول على مساعدة تزويدها بمعدات وأسلحة حديثة، وتطوير قدراتها الاستخباراتية والعسكرية والتدريبية[21]. وفي الواقع، مع إطالة أمد الأزمة القطرية- السعودية، ومعها الإمارات والبحرين ومصر، من المحتمل أن تكون عملية تشكيل تحالفات جديدة في المنطقة بين دول الخليج وإسرائيل مدخلاً لإشراك قطر مستقبلاً في أي تحالف جديد، ويشكل منحى لتسوية الخلافات بين الأخيرة ودول الخليج الأخرى، وفتح حالة الخنق التي تشهدها العلاقات بين تلك الأطراف.

أن ما يجري اليوم بين دول الخليج وإسرائيل أسرع بكثير من ديبلوماسية الـ«بينغ بونغ» الأمريكية ـ الصينية

(21) «قراءة في التطبيع: التحالف الإماراتي والبحريني مع إسرائيل» مصدر سابق.

إن ما يجب أن يقال في هذا المجال تعيد خطوات التقارب الخليجية الإسرائيلية للذهن مفترضات بدايات تطبيع العلاقات بين الولايات المتحدة والصين قبل عقود. كانت انطلاقة هذه العلاقات عبر تنظيم لقاءات ودية بين لاعبي البلدين في كرة الطاولة، والتي أطلق عليها في حينها «ديبلوماسية البينج بونج «(Ping-Pong Diplo-macy). ووفق هذا المنطق التحليلي فأن ما يجري اليوم بين دول الخليج وإسرائيل أسرع بكثير من ديبلوماسية الـ«بينغ بونغ» الأمريكية ـ الصينية[22]، ووفق هذا المنظور أن الفوائد التي تعود على إسرائيل من هذا التقارب ليست أقل من تلك التي تعود

(22) «الأبعاد الإستراتيجية لديبلوماسية 'البينغ بونغ' للتقارب الخليجي ـ الإسرائيلي»، موقع الحرة، 17/ 2018/11، شوهد في 2020/9/13، في:https://www.alhurra.com/differ-ent-angle/2018/11/17

على دول الخليج، مما يعني أن دخول شركاتها السوق الخليجية الكبيرة ستكون عائداته الاقتصادية مجزية، كما أن نتائجه السياسية لن تكون أقل شأنا، وعلى ضوء ذلك تسارع الولايات المتحدة متأثرة إلى حد بعيد بنتاج إستراتيجية جديدة قادت إليها متغيرات فكرية نحو التحول إلى الشرق، كرست مقاربة أن تجعل من اندماج إسرائيل في محيطها الإقليمي أو شطراً أساسياً منه ضرورة إسرائيلية باعتبارها بديلاً لملء الفراغ الاستراتيجي الذي يمكن أن يخلفه الانسحاب الأمريكي من المنطقة[23].

المحور الثالث: عوائق التحرك الإسرائيلي في ظل معالم التحول الإقليمي

شكلت حرب الخليج الأولى في سياقها التاريخي نقطة تحول في منطقة الشرق الأوسط، فبالتزامن مع تفكك (الاتِحاد السوفيتي)، هذه المتغيرات كانت بداية لتطبيع العلاقات الفلسطينية ـ الإسرائيلية، وترجمها مؤتمر مدريد للسلام عام (1991) الذي كانت الولايات المتحدة هي المحرك الرئيس له باعتبارها القوة الوحيدة في الشرق الأوسط آنذاك، وبرزت وسيطًا وحيدًا في النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي. إذ واصلت الإدارات الأمريكية المتعاقبة دعم وتنفيذ هذه الإستراتيجية، وإعادة صوغ العلاقات بين الأطراف في المنطقة كمقدمة ضرورية لإعادة تمتين علاقات إسرائيل بدول المنطقة عامة، ودول الخليج العربي خاصة[24]. من جهتها أعربت دول الخليج العربي عن اهتمامها بحل النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وتعززت هذه السجالات نتيجة للتغيرات والأحداث المفاجئة التي أصبحت مصادر توتر واتخذت أشكالاً مختلفة تشهدها المنطقة، وهي تقدم تصورات في غاية الأهمية تدعو إلى إعادة تجديد خطوة هامة لجلب الاستقرار للمنطقة، أضف إلى ذلك في هذا الصدد أنها لم تغبِ عن رؤيتها لإسرائيل على أنها كِيان شرعي على الأقل، حتى قبل اندلاع حركات التغيير في الشرق الأوسط[25]. من هنا يمكننا القول أنه لم يكن بإمكان هذا التطور في العلاقات بين إسرائيل ودول المنطقة أن يقوم دون أن تكون له تبعات في مسارات عملية التطبيع وديناميّاته، لا سيما في ظل وجود أطراف إقليمية تقف بالضد من توسعة مثل تلك التحركات لأنها تجد فيها تحدياً وجودياً لهويتها كقوة فاعلة، وأخرى منقسمة في جوهر معطيات هذا الحراك السياسي.

في الوقت نفسه، ونظرًا لخصوصية البيئة العربية التي تَشكل وعـيها الجمعي على العداء العميق لإسرائيل باعتبارها كياناً محتلاً للأراضي الفلسطينية، فأنها فتحت المجال لتأسيس مقولة نظرية عن هذا التمايز تستوعب إمكانية إقناع الشركاء بسلامة

(23) «الأبعاد الإستراتيجية لديبلوماسية 'البينغ بونغ' للتقارب الخليجي ـ الإسرائيلي»، مصدر سابق. أعلنت الإمارات والولايات المتحدة وإسرائيل، إنشاء «الصندوق الإبراهيمي» في 20 تشرين الأول/ أكتوبر عام (2020) خلال أول زيارة رسمية قام بها وفد إماراتي برئاسة وزير الدولة للشؤون المالية (حميد عبيد الطاير) إلى إسرائيل، وتم التعهد بتشكيله خلال توقيع اتفاق السلام بين الإمارات والبحرين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، في الولايات المتحدة. إذ ستقوم الإمارات والمؤسسة الأميركية الدولية لتمويل التنمية وإسرائيل من خلال هذا الصندوق بتخصيص أكثر من (3 مليارات دولار) في إطار مبادرات الاستثمار والتنمية التي يقودها القطاع الخاص لتعزيز التعاون الاقتصادي الإقليمي والازدهار في منطقة الشرق الأوسط. «الإمارات وأميركا وإسرائيل تطلق الصندوق الإبراهيمي»، صحيفة الشرق الأوسط، العدد (15303)، 2020، ص1.

(24) العلاقات الخليجية الإسرائيلية: من فلسطين إلى إيران»، موقع السياسات، 2019/12/14، شوهد في 2020/10/24، في: https://www.alsiasat.com. وكان هذا التوجه السياسي الأمريكي الجديد نحو السلام جزءاً من حركة السياسة الخارجية الأمريكية في إطار الوفاق الدولي الأمريكي-السوفيتي، والذي تبلور في نهاية الحرب العراقية-الإيرانية عام (1988) كاتجاه عالمي نحو تسكين الصراعات الإقليمية أو حلها، غير أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي آنئذ لم يحقق نتائج إيجابية ذات قيمة قبل أزمة الخليج، وانتهت التسوية إلى طريق مسدود، لكنها أصبحت في أوائل عام (1991) عاملاً أساسياً في ترتيب الأوضاع في الشرق الأوسط، وجزءاً مهماً من المشروع الأمريكي في المنطقة. «عملية السلام في الشرق الأوسط خلال عام 1991 (مؤتمر مدريد)»، موقع مقاتل، شوهد في 2020/10/23، في: http://www.mokatel.com/openshareit

(25) العلاقات الخليجية الإسرائيلية: من فلسطين إلى إيران»، مصدر سابق. وللمزيد حول هذا الموضوع ينظر: مجموعة باحثين، الخليج في سياق استراتيجي متغير، محمد بدري عيد، جمال عبد الله (محرران)، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون،2014).

الخيار يفترض الترويج لأهداف سامية في ما تقترحه من قبيل إحلال السلام في الشرق الأوسط، وأن شطراً منها إنقاذ الأراضي الفلسطينية من خطر الضم، وتحقيق الرفاه للشعب العربي من خلال الرخاء المزمع تحقيقه من هذا الاتفاق والحاجة إلى شراكات أمنية في منطقة الشرق الأوسط، من جهة أخرى تسعى الولايات المتحدة من خلالها لمجالات تعاون بين دول المنطقة وإسرائيل[26]. من هذا المنطلق تهدف إسرائيل من خلال المعاهدات السابقة للتطبيع مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية إلى تحييد الدول العربية الواحدة تلو الأخرى، لاسيما دول الطوق، وإرباك المشهد العربي من خلال إضعاف الجبهة العربية المقاطِعة لإسرائيل، وزيادة نفوذها من خلال الانخراط في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية[27].

(26) مكرم المسعدي، «المعلن والمخفِي في اتفاق «أبراهام»»، مركز الجزيرة للدراسات، 2020/10/8، شوهد في 2020/10/20، في: https://studies.aljazeera.net/ar/article/4799

(27) المصدر سابق.

وبهذا الخصوص يقسم الباحثون دول إنتاج ومبيعات السلاح (ينظر الشكل رقم (1)) إلى خمسة مستويات من حيث الكم والكيف، وتقع إسرائيل في المستوى الثالث، إذ تشكل نسبة المبيعات الإسرائيلية من السلاح لعام (2018) ما يساوي (3,1%) من إجمالي مبيعات العالم، الأمر الذي يضعها في المرتبة الثامنة عالمياً طيلة الفترة (2014 ـ 2018)، وبالمقارنة مع فترات سابقة يتبين أنها حققت زيادة عن نسبة مبيعاتها خلال الفترة (2009 ـ 2013) بمقدار (1%)، أو ما يساوي زيادة في قيمة المردود المالي بنسبة (60%) بين (2009 ـ 2018) مما يضعها في المرتبة الأولى عالمياً من حيث نسبة الزيادة في المبيعات خلال المدة ذاتها، متفوقة بذلك على الدول العشر الأولى عالمياً، ويلاحظ أن أهم المشترين للسلاح من إسرائيل هي ثلاث دول الهند (46%) من مبيعات إسرائيل العسكرية، واذربيجان (17%)، وفيتنام (8,5%)، أي أن الدول الثلاث تمثل ما مجموعه (71,5%) من المبيعات الإسرائيلية[28].

(28) وليد عبد الحي، «الاقتصاد السياسي لمبيعات السلاح الإسرائيلي»، ورقة علمية، ص5، متاحة بصيغةpdf على موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، شوهد في 2020/10/20، في:https://www.alzaytouna.net

شكل (1)

توزيع مبيعات السلاح الإسرائيلي

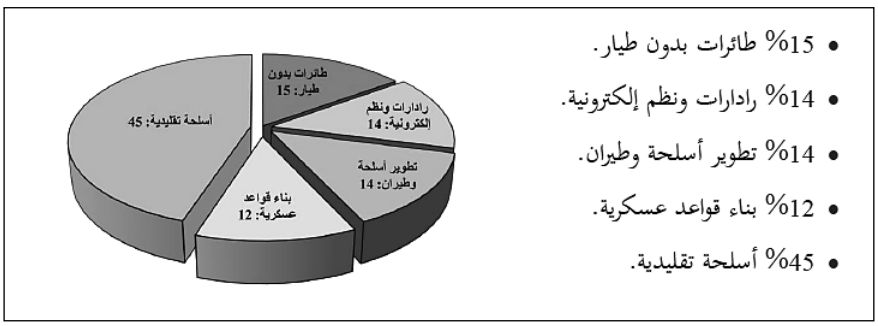

المصدر: وليد عبد الحي، «الاقتصاد السياسي لمبيعات السلاح الإسرائيلي»، ورقة علمية، ص6، متاحة بصيغةpdf على موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، شوهد في 2020/10/20، في: https://www.alzaytouna.net

من هنا يتبين أن إجمالي مبيعات السلاح الإسرائيلي من الناتج المحلي، تحتل إسرائيل المرتبة الأولى عالمياً، فقد بلغت هذه النسبة في إسرائيل (1 %) بينما ألمانيا (0,88 %)، وروسيا (0,49)، والولايات المتحدة (0,17)، وفرنسا (0,17)، وبريطانيا (0,16)[29]. ولو نظرنا في الجدول رقم (2) سنجد أنه خلال السنوات التسع من بداية عام (2010) إلى نهاية عام (2018)، شكلت مبيعات السلاح الإسرائيلي التي تم تنفيذها ما قيمته (18,21 %) من حجم إجمالي العجز التجاري الإسرائيلي، وهو ما يعني أن العجز التجاري كان يمكن أن يرتفع بمعدل (18,21 %) لولا إسهام مبيعات السلاح، وهو ما يدل على أهمية اقتصادية واضحة، إذ بلغ إجمالي مبيعاتها (بما في ذلك طلبات الشراء) خلال السنتين (2017 ـ 2018) ما مجموعه (16,4 مليار دولار)، وهو ما وضعها في المرتبة الثامنة عالمياً، كما ارتفع نصيبها من المبيعات العالمية من (2,1 %) خلال المدة من (2009 ـ 2013) إلى (3,1) خلال المدة (2015 ـ 2019)، وعند المقارنة بين مبيعاتها خلال المدة (2010 - 2014) مع مبيعاتها في المدة (2015 - 2019) يتبين زيادة قدرها (77 %)[30].

(29) المصدر السابق.

(30) المصدر السابق.

جدول (2)

العلاقة بين حجم التجاري الإسرائيلي ومبيعاتها المحققة دون الطلبات من السلاح

السنة	القيمة (مليون دولار)	العجز التجاري الكلي (مليار دولار)	نسبة مبيعات السلاح إلى إجمالي العجز التجاري (%)
2010	654	2.8	23.35
2011	538	8.03	6.72
2012	455	12.25	3.78
2013	420	8.25	5.09
2014	393	6.98	5.63
2015	721	0.93	77.52
2016	1.441	8.31	17.34
2017	1.254	10.76	11.65
2018	707	18.25	3.87
المعدل			18.21

المصدر: وليد عبد الحي، «الاقتصاد السياسي لمبيعات السلاح الإسرائيلي»، **ورقة علمية**، ص6، متاحة بصيغة pdf على موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، شوهد في 2020/10/20، في:
https://www.alzaytouna.net

ومن ناحية أخرى فإن الاتفاق الإسرائيلي الإماراتي يمثل مرحلة متقدمة في السياق ذاته، من هنا فهو يهدف إلى إجهاض مبادرة السلام العربية التي وضعت الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي المحتلة عام (1967) حسب القرار (242) لمجلس الأمن الدولي، والتسوية العادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، شرطًا للتطبيع مع إسرائيل. بهذا المعنى فقد ظلت تلك المبادرة على علاتها، حاجزاً ضد التطبيع حتى وقع الإعلان عن اتفاق «أبراهام». علاوة على ذلك لقد أزاحت الإمارات والبحرين هذا الشرط من مسار تطبيع العلاقات العربية ـ الإسرائيلية، وفي ذلك قبول تجريد الفلسطينيين من حقوقهم التاريخية وإضعاف للموقف العربي والأممي الداعم للقضية الفلسطينية وإفراغها من مكامن قوتها من أجل تحويل موازين القوى الإقليمية لصالحها[31]. فضلاً عن ذلك سعت الإدارة الأمريكية بقيادة (ترمب) إلى توجيه محور التركيز الإستراتيجي الأمني في الخليج إلى أولوية تعزيز العلاقات بين إسرائيل والدول الخليجية لضمان بقاء التفوق المطلق لها في المنطقة ولمواجهة إيران، إضافة إلى محاولات وضع خطة سلام شاملة بين العرب وإسرائيل، إذ نظمت الولايات المتحدة في شباط/ فبراير عام (2019) مؤتمر(وارسو) للشرق الأوسط الذي ركز على العداء الإسرائيلي والخليجي لإيران، والدفع نحو تعزيز التحالفات وزيادة التعاون الدفاعي في المنطقة[32].

(31) مكرم المسعدي، مصدر سابق.

(32) «العلاقات الخليجية الإسرائيلية: من فلسطين إلى إيران»، مصدر سابق .

في هذا السياق، إدراكاً منها، تتعاطى إيران على تعزيز الروابط بين إسرائيل ودول الخليج العربي كتهديد وجودي كونه موجه لها مدفوعا بقوة خارجية، وهي تعكس وجهات النظر الأمريكية، وهكذا كانت ردود الفعل الإيرانية على هذه الخطوة والتحذير من خطورتها على القضية الفلسطينية أولاً نابعة من القراءة الإيرانية لمحاولات إسرائيل وضع قواعد اشتباك جديدة وخلط موازين القوى باتجاه إرساء معادلة إضافية أفرزتها عملية التطبيع، وتبرز إسرائيل كفاعل داخل المنطقة، من هنا بنت إيران كردة فعل على تخوفها الاستباق إلى التحرك لاختراع دور لهم في منطقة الخليج العربي[33]. إذا تقدم نفسها بوصفها حاملة لمشروع يرتكز في سياقه التاريخي إلى موقعها الجيوسياسي في منطقة الخليج العربي، وهي تنطلق من الواقع الجديد، ويبدو ظاهر هذا الأمر في دعوة وزير الدفاع الإيراني العميد (أمير حاتمي) استعداد بلاده لتوقيع معاهدات عسكرية وأمنية مع تلك الدول تضمن الاستقرار في المنطقة[34].

(33) «تحليل للتطورات السياسية والأمنية في إسرائيل»، التقدير نصف الشهري، العدد (118)، (فلسطين: مركز باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، 2020)، ص25.

(34) نغم كباس، إيران تدعو دول الخليج لتوقيع معاهدات أمنية، موقع سبوتينك،2020/10/20، شوهد في2020/10/22، في https://arabic.sputniknews.com/: radio_without_restrictions

في الواقع، تؤكد معظم التحليلات الأمنية أن إيران لم تخف خشيتها من دخول إسرائيل إلى منطقة الخليج العربي التي تعدها أهم مجال حيوي لها تحت مضلة تطبيع علاقاتها مع دول الخليج، وفتح المجال أمام تعظيم الاتفاقات الاقتصادية

والتكنولوجية والأمنية والعسكرية...الخ، وبلوغ مستويات من التكامل والعمل المشترك بصورة ضمنية تغذي زيادة الأعباء الأمنية عليها، وفي الوقت نفسه تمكينها من فرض هيمنتها على منطقة الخليج واكتساب وضعية جيواستراتيجية وسياسية تدعم دورها كقوة إقليمية صاعدة مؤثرة وكحليف استراتيجي أمريكي، أمام هذه الأوضاع ارتفعت مدارك التهديد لدى إيران أن يؤدي أي سلام بين إسرائيل والعرب إلى تهميشها إقليمياً في جميع الفضاءات الجغرافية في المنطقة [35]. وبسبب ذلك أدركت إيران ضرورة إعادة تموضعها وتعزيز قدرتها في مواجهة التحديات المتعلقة بالإخلال بميزان القوة في المنطقة لصالح أطراف تعدها دخيلة على منطقة الخليج العربي، وإغراقها بمزيد من الاضطرابات والتهديدات الجديدة.

تتعاطى إيران على تعزيز الروابط بين إسرائيل ودول الخليج العربي كتهديد وجودي

(35) فراس عباس هاشم، الارتدادات الهيراركية: اتجاهات التماسك الخليجي المتعثر ومعادلة المصالح الإسرائيلية، مصدر سابق، ص77 .

وعموماً يمكن القول إن الاتفاقية ترسم مساراً محتملاً للصراع وسيكون مكلفاً لأطرافه، لاسيما وأن الاستقرار في منطقة الخليج العربي يتوقف على التسويات التي تضمن شكلاً من الاستقرار والأمن[*]، وفي مقابل هذا بدا بشكل واضح أن الفصائل الفلسطينية التي كانت تأمل في دعم الموقف العربي لقضيتها في مواجهة الاحتلال والتمسك بالمبادرة العربية كحد أدنى للسلام، ستجد نفسها مجبرةً على التعبئة على المستويات كلها، بما في ذلك المقاومة بمختلف أشكالها، وتكثيف العمل الميداني ضد السياسات الإسرائيلية بحسب تعبيرها. من جهة أخرى، رأت تركيا أن هذه التحولات هي مجرد قبول حقائق على الأرض، لان مثل هذه التغييرات تحدث مشكلات في المنطقة وتطور ديناميتها، وبالقدر نفسه فإن الاتفاق يعد أضراراً لحقوق الشعب الفلسطيني، في المقابل عدت إيران هذه الاتفاقية مدعاة في أي بناء لمشروع سياسي تكون إسرائيل ركناً أساسياً في عملية الصراع وإدارته وتحديد مآلاته يمكن أن ينتج عنه توترات متزايدة مع محور المقاومة ومحاولة لأضعاف دورها وعزلها واحتوائها، حيث اعتبرت أنها من شأنها أن تؤَزم الوضع الأمني الإقليمي ورفع مستوى التهديد للأمن القومي الإيراني[36].

(*) يرى (علي الدين هلال) أن الأمن: «هو تأمين كيان الدولة أو عدد من الدول من الأخطار التي تهددها في الداخل ومن الخارج وتامين مصالحها الحيوية وخلق الأوضاع الملائمة لتحقيق أهدافها وغاياتها القومية والتي تتمثل في الاستقرار السياسي والتماسك الاجتماعي والتنمية الشاملة»، والأمن كما يعرفه (عدلي سعيد) بأنه: «تأمين الدولة من الداخل ودفع التهديد الخارجي عنها بما يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر لها استغلال أقصى طاقاتها للنهوض والتقدم». نقلا عن: علاء عبد الحفيظ محمد، المواءمة بين اعتبارات الأمن والممارسة الديمقراطية: التجربة الأمريكية انموذجا، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014)، ص51. وللمزيد ينظر: اشرف علام، مشروع قناة البحرين والأمن العربي، (القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2008). وكذلك: نواف قطيش، الأمن الوطني وإدارة الأزمات، (الأردن: دار الراية للنشر والتوزيع، 2009).

(36) مكرم المسعدي، مصدر سابق

ومن هنا ستسعى إيران لإفشال هذه التحركات وكسر طوق العزلة الإقليمية الذي تحاول أن توسعه الولايات المتحدة تماهياً مع الإستراتيجية الخليجية والإسرائيلية في دول الجوار الإقليمي لإيران الذي لا يخدمها مطلقاً، فضلاً عن ذلك ستسعى إيران لدرء أي خطط للقيام بعمل عسكري ضدها والعمل على تعزيز قدراتها العسكرية في مختلف المجالات، لا سميا وأنها لا تزال تمثل قوة إقليمية فاعلة ومؤثرة في مجريات الأحداث.

ستسعى إيران لإفشال هذه التحركات وكسر طوق العزلة الإقليمية

الخاتـمــة:

مما تقدم يتبين أن منطقة الخليج العربي ما تزال موضع اهتمام واستقطاب القوى الدولية والإقليمية نظراً لما تكتسبه من أهمية جيوبوليتيكية، وهذا الاستثناء الجغرافي جعلها طيلة الفترات التاريخية نقطة تنافس وصراع بين القوى الإقليمية والدولية تولدت عن محاولات لتعريف النظام الدولي الجديد، وهذا ما يمكن استخلاصه من الخيارات الإستراتيجية الإسرائيلية المتاحة، وما أفضت إليه من توقيع اتفاق التطبيع بين إسرائيل والإمارات والبحرين يأتي في سياق تشكيل الأولويات الأمنية لأسباب جيوسياسية تمثل مطلباً استراتيجيا بالنسبة إليها.

وهكذا فأنها تأخذ مظهراً آخر نطاقه تلاقي مصالحها مع دول الخليج العربي، آخذين في الاعتبار أن منطقة الخليج العربي تمثل عمقاً استراتيجياً لها من الناحية الجغرافية لمواجهة إيران واحتوائها، هذا التطور يغدو إدراكاً راجعاً إلى قناعات منها لهذا الواقع، بغية توصيف نفسها كقطب إقليمي يمكن الاعتماد عليه يوفر إمكانية تأدية وظيفية إقليمية موثوق به، من منطلق رؤية كونها قوة ناهضة وفاعلة في المنطقة.

أن هذه المراهنة نجدها استناداً إلى القواسم المشتركة مع الولايات المتحدة التي ترغب بإعادة ترتيب خارطة المنطقة، وذلك بعد أن أنتجت صوغ رؤيتها بإمكانية ترسيخ قدرتها على توسيع نفوذها وإبراز قوتها كجهة رادعة على أرض الواقع، وكعلامة على الحضور القوي لها بما يمكنها من حرمان الطرف الأخر على الوصول إلى مصالحه، ومؤدى هذا الرؤية مسنودة بوقائع مادية من جهة الاستفادة من مركزية الولايات المتحدة كقوة لها نفوذها وتأثيرها في منطقة الخليج العربي في تعزيز مكانتها، وهذا ما يعني في سياق الحال أن هذه التحركات الإسرائيلية سوف تقلب موازين القوى في المنطقة، وبالتالي مؤداه أن تزيد من الأعباء الأمنية على الصعيد الإقليمي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: العربية والمترجمة

1 - اشرف علام، مشروع قناة البحرين والأمن العربي، (القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2008).

2 - علاء بيومي، صعود باراك أوباما ومستقبل السياسة الخارجية الأمريكية، (قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2008).

3 - علاء عبد الحفيظ محمد، المواءمة بين اعتبارات الأمن والممارسة الديمقراطية: التجربة الأمريكية انموذجا، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014).

4 - مجموعة باحثين، الخليج في سياق إستراتيجي متغير، محمد بدري عيد، جمال عبد الله (محرران)، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2014).

5 - محسن صالح، الأهداف والمصالح الإسرائيلية في النظام العربي في كتاب التداعيات الجيواستراتيجية للثورات العربية، مجموعة مؤلفين، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014).

6 - محسن عوض، الإستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988).

7 - محمد صالح المسفر، العلاقات الخليجية- الخليجية: معضلة الفراغ الإستراتيجي والتجزئة (1971 ـ 2018)، (قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2018).

8 - نواف قطيش، الأمن الوطني وإدارة الأزمات، (الأردن: دار الراية للنشر والتوزيع، 2009).

9 - نسيم طالب، البجعة السوداء: تداعيات الأحداث غير المتوقعة، ترجمة: حليم نسيب نصر، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009).

ثانياً: المجلات والدوريات

1 - أحمد تهامي عبد الحي، «الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر ومنابع النيل: الثوابت والمستجدات»، دراسات إستراتيجية ومستقبلية، العدد (9)، (2003).

2 - عماد قدورة، «الأهمية الجيوبولتيكية للخليج في إستراتيجية الهند»، مجلة سياسات عربية، العدد (44)، (2020).

3 - فراس عباس هاشم، «الارتدادات الهيراركية: اتجاهات التماسك الخليجي المتعثر ومعادلة المصالح الإسرائيلية»، مجلة حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العدد (29)، (2019).

4 - «مظاهر اتجاهات التغييرات الإقليمية وتأثيراتها في تشكيل فضاءات التحركات الإسرائيلية تجاه إيران»، مجلة مدارات إيرانية، العدد (6)، (2019).

ثالثاً: التقارير

1 - «تحليل للتطورات السياسية والأمنية في إسرائيل»، التقدير نصف الشهري، (فلسطين: مركز باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، 2020).

2 - خالد عنبتاوي، «مشهد العلاقات الخارجية: مكاسب نوعية عديدة وعقبات كامنة»، تقرير مدار الاستراتيجي، (فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2020).

3 - فادي نحاس، «التحديات الأمنية والعسكرية لإسرائيل: أكثر وضوحًا وتحديدًا وأقل مرونة»، التقرير الاستراتيجي (2019)، (فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2019).

4 - المؤشر العربي 2020/2019 في نقاط، برنامج قياس الرأي العام العربي، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020).

رابعاً: الصحف

1 - «الإمارات وأميركا وإسرائيل تطلق الصندوق الإبراهيمي»، صحيفة الشرق الأوسط، العدد (15303)، 2020.

خامساً: المواقع الإليكترونية

1 - «الأبعاد الإستراتيجية لديبلوماسية «البينغ بونغ» للتقارب الخليجي ـ الإسرائيلي»، موقع الحرة، 2018/11/17، شوهد في 2020/9/13، في: https://www.alhurra.com/different-angle/2018/11/17

2 - «اتفاق إبراهيم».. لماذا سميت اتفاقية السلام بين الإمارات وإسرائيل بهذا الاسم، موقع اليوم السابع، 2020/8/14، شوهد في 2020/10/23، في: https://www.youm7.com/story

3 - «الإمارات جعلت إسرائيل تتموضع في ساحة إيران الخلفية»، موقع عرب 48، 2020/8/16، شوهد في2020/9/11، في: https://www.arab48.com

4 - «السياسة الخارجية «لإسرائيل» في اختبار عام 2020»، متاح بصيغة pdfعلى موقع مركز توازن للأبحاث والدراسات، 2020/9/23، شوهد في 2020/10/1، في: http://tawazon-trs.com/estimating-sit

5 - «العلاقات الخليجية الإسرائيلية: من فلسطين إلى إيران»، موقع السياسات، 14/ 2019/12، شوهد في 2020/10/24، في: https://www.alsiasat.com

6 - «عملية السلام في الشرق الأوسط خلال عام 1991 (مؤتمر مدريد)»، موقع مقاتل، شوهد في 2020/10/23، في:http://www.mokatel.com/openshareit

7 - «قراءة في التطبيع: التحالف الإماراتي والبحريني مع إسرائيل»، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2020/9/17، شوهد في 2020/9/23، في: https://www.dohainstitute.org/ar/PoliticalStudies/Pages/Interpreting-Normalization-

8 - محمد عبد الله يونس، «فرص الأزمات: كيف يمكن الاستفادة من التحولات المفاجئة في العالم»، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2020/8/13، شوهد في2020/9/23، في: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/5747

9 - محمود مجادلة، «غانتس يوقع مع نظيره الأميركي إعلاناً لضمان التفوق العسكري الإسرائيلي في المنطقة»، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020/10/22، شوهد في 2020/10/23، في: https://www.alzaytouna.net

10 - مكرم المسعدي، «المعلن والمخفي في اتفاق «أبراهام»»، مركز الجزيرة للدراسات، 2020/10/8، شوهد في 2020/10/20، في: https://studies.aljazeera.net/ar/article/47

11 - نغم كباس، «إيران تدعو دول الخليج لتوقيع معاهدات أمنية»، موقع سبوتنيك، 2020/10/20، شوهد في 2020/10/22، في: https://arabic.sputniknews.com/radio_without_restrictions

12 - «وسط تحذيرات إيرانية.. بومبيو: الإمارات وإسرائيل تشكلان تحالفا ضد طهران لحماية مصالحنا»، موقع الجزيرة للدراسات، 2020/9/6، شوهد في 2020/9/11، في: https://www.aljazeera.net/news

13 - وليد عبد الحي، «الاقتصاد السياسي لمبيعات السلاح الإسرائيلي»، ورقة علمية متاحة بصيغة pdf على موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، شوهد في 2020/10/20، في: https://www.alzaytouna.net